

محاضرة

❖ نظرية الخلق الفني: إيوت، ريتشاردز.

وردت مادة [خ ل ق] في اللغة بمعنى: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه... والخلقُ: التقدير... والخلقُ: الكذب.¹ لكن أقرب المعاني إلى نظرية الخلق التي هي موضوع بحثنا المعنى الأول أي الابتداع والابتكار على غير مثال سابق.

أما في الاصطلاح: الخلق الفني هو إدراك الجمال في ذاته، وإدراك لما هو مميز في العمل، وما يفرق بينه وبين الأعمال المماثلة، فهي إذا تمجد لذاتها وكيفية تناولها لا التجربة لثمرتها ونفعها وتوجيهها.²

✓ نشأة نظرية الخلق:

نشأت نظرية الخلق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في ألمانيا، فرنسا، إنجلترا، مع ظهور الفلسفة التي ترى أنّ الحياة قبيحة وريئة و أنّ الإنسان شرير فاسد لا سبيل إلى إصلاحه، وأنّ ما تبقى من الأشياء الجميلة في الحياة هو الفنّ، وعليه لا بد أن نؤمن به كفاية في حدّ ذاته، وهنا بدأت تظهر نظرية الخلق الفني كرد فعل على النظريات النقدية السائدة التي جعلت من الفن والإبداع سلعة رخيصة تباع وتشتري، لتجعل من نفسها نظرية نقدية بديلة ترى أن الفنّ لا بد أن يبتعد عن كلّ وجهة نفعية دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية، وأن يكون الفنّ من أجل الفنّ، أي خالصاً، " وهذا من أجل أن يعود الأدب إلى مكانته الراقية، وأن يعود الفن إلى برجه السامي".³ وقد استندت في طرحها هذا إلى الفلسفة الذاتية المثالية التي تعتبر الوجود الأول هو وجود الذات وما الوجود الموضوعي إلّا وجوداً ثانياً تدركه الذات المدركة، مثلها مثل ما ذهب إليه نظرية التعبير_ فيما رأيناه سابقاً_ إلّا أنها رفضت أن يكون الأدب تعبيراً عن الانفعالات والمشاعر كما تزعم نظرية التعبير، بل الأدب في تصورهما تعبير عن القيم الفنية لقوة الابتكار والخلق الأدبي من لغة قادرة على الإيحاء

- لسان العرب، ابن منظور، مج10، ص:85-88.¹

- مدارس النقد الأدبي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، طبع المدني، ط1، 1995م، ص:179.²

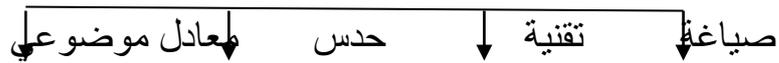
- في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، ص:66.³

وامتلاك قوة التأثير، يقول إليوث: " إن الشعر ليس تعبيراً عن المشاعر والعواطف والانفعالات، بل هروب منها، وليس الشعر تعبيراً عن الذات الشخصية، بل هروباً منها، إنما الشعر خلق".⁴

يمتاز نقد أصحاب هذا المذهب بالدقة البالغة والروعة الكبيرة والتنظيم الشديد في تناولهم للأعمال الأدبية. فهم ينظرون إلى المعنى وما يرمي إليه من دلالات والألفاظ ومدى ما فيها من موسيقى وجمال وتناسق وكذا الجمل بين بعضها البعض وما يليها من ترابط وانسجام وعلاقات، ويجب أن ينظر في رأيهم إلى المعاني المبتكرة في النص.⁵

لقد ساهمت نظرية الخلق بهذا الطرح الجديد في الارتقاء بالعمل الأدبي ومحاولة تخليصه من النفعية، كما أصبحت أكثر حضوراً من حيث موقفها الفلسفي، الذي تكشفت فيه الأبعاد الموضوعية التي اقتضتها حالة الانحطاط السياسي والاقتصادي والفكري والأدبي، يقول كروتشيه في ذلك: " أن الفكر وسيلة للحياة تصبح في لحظة ما وسيلة وأداة للفكر نفسه، ونحن ننقل في هذه الدائرة من الفكر إلى الحياة ومن الحياة إلى الفكر، ثم نستأنف الطواف وهكذا دواليك، لكن استئناف الطواف مصحوب دائماً بخلق شيء لم يكن موجوداً وهو ثمرة فعل حر".⁶

مفهوم نظرية الخلق



ويصبح الأديب بعد انتهاء العمل الأدبي لا دور له، وينتقل الدور إلى المتلقي الذي هو من يتوجه نحو الأدب، ليتعايش مع الجمال والتناغم الفني الذي يفتقده في عالمه المعيش.

على هذا النحو بدأ يتأصل مذهب جديد في النقد الأدبي يعتمد أصحابه إلى طمس القواعد والقوانين التي شاعت في عصرهم وقبله، لأنها في نظرهم تضر بالعمل الأدبي ولا تبرز

- مدارس النقد الأدبي الحديث، محمد عبد المنعم العشماوي، ص: 284.

- النظريات النقدية، ستيفن إريك برونر، تر: سارة عادل، ص: 140.

- المجلد في فلسفة الفن، بنديتو كروتشيه، تر: سامي الدروبي، دار الأوابد، سوريا، ط2، ص: 46-12.

نواحي الجمال فيه، جاعلة في ذلك شعارها قول ماتيو آرنولد " رؤية الشيء في ذاته كما هو بالفعل".⁷

ومن رجالات هذه النظرية نذكر: هيبوليت تين ليفيس شتراوس، بروكس، ت.س. إليوث ريتشاردز، توماس إرنست هيوم، إيدجار ألان بو، آزرا ياوند. إيمانويل كانط، هيغل، جوتيه.

أقوال بعض أعلام نظرية الخلق:

_ إيمانويل كانط (e.kant): الأدب هو الجمال، وأنّ الجمال غاية في حدّ ذاته، مثال: نظرة الرسام تختلف عن نظرة التاجر للتفاحة، الأول يرى جمالها غاية في ذاتها بينه=ما التاجر يراها وسيلة للمنفعة، والكسب.

_ هيغل (hegel) : ارتباط الفنّ بالجمال المستقل بغض النظر عن الفكرة.

_ جوتيه (gautier): الفنّ غاية في حدّ ذاته وليس وسيلة، كلّ ما هو نافع قبيح.

✓ أسس نظرية الخلق:

_ الفلسفة المثالية الذاتية (تجعل من المثالية الذاتية مبدأ للوجود).

_ فكرة الجمال (مضمون الفنّ يتمثل في فكرة الجمال).

_ مبدأ الفنّ للفنّ (الفنّ ليس وسيلة بل غاية)

_ استقلالية وحرية الأدب (الاستقلالية من أي قيمة دينية أو سياسية أو اجتماعية..).

_ الأدب تعبير عن القيم الفنية لقوة الابتكار (رفض أن يكون الأدب تعبير عن الانفعالات).

_ انفصال الأدب عن الفكرة.

7 - ينظر، النظريات النقدية عند مفكري اليونان ومدارس النقد الأوربي والأمريكي، عبد الرحمن عبد الحميد علي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010م، ص:139.

_ المعادل الموضوعي(خلق مركب جديد للانفعال حتى ينفصل الأديب عن ذاته فتصبح له شخصيتان: 1- شخصية تتفعل. 2- شخصية تخلق.

غاية أدب الخلق: ✓

غاية أصحاب مذهب الخلق الأدبي التسلية الخالصة والاستمتاع بالتقنية في حد ذاتها، ولا اهتمام يذكر في فلسفتهم للفكرة ولا الشعور.

في الأخير يمكن القول أنه قد تحددت الأبعاد الموضوعية والشكلية لنظرية الأدب في خطوطها العريضة، من حيث المفهوم والماهية، و الطبيعة والوظيفة، وأصول الأدب وفنونه ومذاهبه وتصنيفاته، وكذلك تكشف علاقة الأدب مع الفنون الأخرى، ومع العلوم، وفي علاقته بالمجتمع بشكل عام، كما تدرس الأركان المكونة للشكل الأدبي_ العروض. الصوت. الرمز. الأفانين. البلاغة_ مرتبطة بمناهج الدراسة الأدبية التي تتخذ من هذه الأركان قاعدة للتحليل النقدي.فهي نظرية إذا تدرس وتضع القواعد المناسبة لدراسة الأدب من حيث هو أدب. وفي الحقيقة نجد أنّ نظرية الأدب تختلف عن النظرية النقدية في كونها تجمع بين الفنون الأدبية والنقدية الحديثة وهي بذلك تتميز عن النقد في أنه يدرس النصوص دراسة فنية، ويصدر عليها الأحكام، بينما نظرية الأدب تقنن الأسس النظرية لدراسة الأدب.